



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



تأثير العمارة الدينية في الممارسات السلوكية لساكنة بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط (6-9 هـ / 12-15 م)

The influence of religious architecture on the behavioural practices of population in The Middle Maghreb during the Middle Ages (6-9 AH / 12-15 AD)

د. لامية وادي¹ *
¹ محمد لمين دباغين سطيف 02، الجزائر.

Key words:	Abstract
religious architecture behavior The inhabitants of the Middle Maghreb The Middle Ages.	Islamic religious architecture is the most important arts that have been among human concerns from ancient times to todayk, As it represents an aspect of civilization that reveals the level of thought and development reached by the Muslim individual, in which it embodied its highest meanings and arts, and in it the religious and worldly values that were connected between it and the individual were fused‘ As it crept through the social values embodied by our true religion in its Islamic approach to life in the various behaviors of the individual and his daily practices‘ It was also a scene of containing the various social phenomena translated into the behavior of members of the Middle East community during the intermediate era, and through my humble intervention.

ملخص	معلومات المقال
تعد العمارة الدينية الاسلامية أهم الفنون التي كانت ضمن اهتمامات الإنسان منذ القدم إلى يومنا هذا، إذ تمثل جانبا من جوانب الحضارة تكشف عن المستوى الفكري والتطور الذي وصل إليه الفرد المسلم حيث جسدت فيه أسمى معانيها وفنونها، وفيها انصهرت القيم الدينية والدينيوية التي كانت الواصلة بينها وبين الفرد، إذ تسلفت عبرها القيم الاجتماعية التي جسدها ديننا الحنيف في منهجه الإسلامي المنظم للحياة في مختلف سلوكيات الفرد وممارساته اليومية، كما أنها كانت مشهد من مشاهد احتواء مختلف الظواهر الاجتماعية المترجمة لسلوكيات أفراد مجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.	تاريخ المقال: الإرسال: 2025-09-19 القبول: 2025-12-17 الكلمات المفتاحية: العمارة الدينية السلوك ساكنة المغرب الأوسط العصر الوسيط.

1. مقدمة

مؤسسة دينية جمعت شمل المسلمين ببناء الرسول صلى الله عليه وسلم أول مسجد بالمدينة المنورة، إذ يعد القلب النابض للمجتمع المسلم تجتمع فيه شؤون الحياة، إذ نجد حوله الأسواق-الأهمية الاقتصادية- كما يعد مكان للبيعة والتشاور-الأهمية السياسية-، إضافة إلى عقد مجالس القضاء والعلم لذا يمكن اعتباره محور الحياة في جميع الجوانب.

للمسجد عدة وظائف إذ يعد مؤسسة تربوية دينية تتجسد فيه قوة الإسلام وفاعليته، فهو مكان لأداء العبادة التي تدخل في حاجة الروح، إذ يحس الفرد دائماً بوجود الله ومراقبته في كل ما يقوم به، كما يطمئن إلى قضاء الله وقدره شره وخيره وهذا كله بما يوفره المسجد من وعظ وإرشاد عن طريق الخطب الدينية والدروس والمحاضرات، كما أنه يحقق هدف استمرارية التربية عبر مختلف مراحل العمر (الإسلام، 1986 الصفحات 65-66)، إذ تكسب الطفل الأدب، الحوار، الحرية، المناقشة والإستزاد بالقيم (عبيد، 1997 صفحة 131) من خلال غرس العقيدة وتقويتها.

أما الجانب الاجتماعي ففيه تتجلى العدالة والمساواة بين الناس من خلال استقباله المسلمين دون تفریق أو تمييز بينهم، كما أنه يجسد روح التكافل ويكسب الفرد سلوكيات النظام، الانضباط، حب الخير، وغيرها من الصفات (عبيد، 1997 الصفحات 126-127)، كما تتعدى وظيفته إلى الجانب الاقتصادي من احتواء الطبقة الفقيرة خاصة في فترة الأزمات، ضف إلى ذلك اعتباره كمؤسسة إعلامية تظهر من خلال رفع الأذان والإعلان عن مواقيت الصلاة.

إن الدور المنوط للمسجد دور سامي كونه يمس أهم النقاط في المسلم ألى وهو التفكير السليم والمنطقي والروحي من خلال مختلف العبادات، إضافة إلى تعليم القراءة والكتابة ودروس القرآن فالرسول صلى الله عليه وسلم مارس وظيفة التعليم في بيته وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم وفي المسجد الذي كان مكاناً لعقد الحلقات كما أنه عدّ مكاناً للقضاء واستقبال السفراء، لتأتي الكتابات والزوايا فالأولى اعتبرت النواة الأولى في التربية والتعليم وتنوير العقول وصل الألسنة (رمضان، 2003 صفحة 366)، إذ انتشرت في مختلف مدن وبوادي وقرى (رمضان، 2003 صفحة 373) (عشي، 2018 صفحة 223) المغرب الأوسط، كان الهدف الأساسي من وجودها تنشئة الصبيان تنشئة دينية قوية تقوم على أساس حفظ كتاب الله أو جزء منه وقواعد اللغة العربية، الحساب، وبعض مبادئ الشريعة كتعليم أركان الصلاة والصوم، وصقلهم بالأخلاق الحميدة.

أما الزوايا فهي مؤسسة دينية تعليمية ودار لضيافة الأغراب يلتف فيها الطلبة المريدون حول الشيخ ينهلون منه شتى أنواع الفنون والمعرفة، هدفها نشر وتعميم التعليم لدى الشرائح الدنيا في مجتمع المغرب الأوسط، ضف إلى ذلك كانت مكان للصلح بين المتخاصمين.

رغم الظهور المتأخر للمدارس في المغرب مقارنة بالشرق

تعد العمارة الإسلامية جانباً أساسياً من جوانب الحضارة الإسلامية تكشف عن المستوى الفكري والتطور الإنساني عبر مختلف مراحلها، وتعتبر العمارة الدينية جزءاً منها تتجسد فيه سمات الحضارة من خلال انصهار القيم الدينية بالقيم التربوية لتصبح مؤسسة حضارية ورمز للثقافة، فالدين الإسلامي في الأساس كلف الإنسان ببناء عالمه الإيماني والتفكير الروحي وتحقيقه عن طريق عمارته، لكي يظهر الحقيقة الإنسانية الكامنة في روحه، حيث أن السبيل للوصول إلى ذلك يمر عبر القيم التي جسدها ديننا الحنيف في منهجه الإسلامي المنظم للحياة البشرية واحتياجاته التي تترجمها مختلف السلوكيات الفردية والجماعية في المجتمع الإسلامي، وباعتبار المغرب الأوسط جزءاً منه فإن دراسة تأثير العمارة الدينية على مجتمعه يعد من الجوانب الأساسية التي ينبغي للمؤرخ تناولها بالبحث في التاريخ الاجتماعي، خاصة إذا اعتبرنا أنه المنظم لاحتياجاته الروحية والمعنوية والمادية.

من هنا نطرح الإشكال التالي: إلى أي مدى ساهمت العمارة الدينية في توجيه سلوكيات وذهنيات الفرد في مجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط؟ وللإجابة على الإشكالية المطروحة قمنا بتناول النقاط التالية:

- 1- نماذج للعمارة الدينية في المغرب الأوسط
 - 2- وسائل تفعيل السلوك الأخلاقي في مجتمع المغرب الأوسط:
 - 2-1- دور المؤسسات الدينية في بناء شخصية فرد المغرب الأوسط
 - 2-2- النخبة وترسيخ الفضيلة في مجتمع المغرب الأوسط
 - 2-3- المجالس العلمية
 - 3- دور المؤسسات الدينية في احتواء بعض السلوكيات الانحرافية:
 - 3-1- نماذج لبعض السلوكيات الانحرافية بمجتمع المغرب الأوسط
 - 3-2- المؤسسات الدينية واحتواء السلوكيات الانحرافية.
- اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي القائم على التحليل والاستدلال، وكذا المنهج الإحصائي من خلال إدراج جداول إحصائية تبرز نماذج لبعض المؤسسات الدينية بالمغرب الأوسط خلال فترة الدراسة.

1. نماذج للعمارة الدينية بالمغرب الأوسط:

شهدت بلاد المغرب الأوسط مثلها مثل باقي الأقطار الإسلامية انتشاراً واسعاً للعمارة الدينية بمختلف أنواعها - المساجد والجوامع، الكتابات، الزوايا والمدارس- في أغلب أقاليمها الجغرافية، حيث أدت وظيفتها الدينية والتعليمية والاجتماعية كل حسب درجة تأثيره، وباعتبار المسجد أول

من خلال الجدول الإحصائي السابق يمكن أن نستنتج مجموعة من الملاحظات أهمها:

*-تعدد أنواع المؤسسات الدينية التي انتشرت في بلاد المغرب الأوسط بين المساجد، الزوايا والمدارس، كما لاحظنا أنها انتشرت في كل فترات الإطار الزمني المدروس وهذا لعدة عوامل منها اهتمام السلاطين بهذه المنشآت، دور الرحلة العلمية، ...

*-اتساع الإطار الجغرافي لانتشار المؤسسات الدينية إذ شملت معظم قرى ومدن المغرب الوسط

*-اشترك العمارة الدينية في الهدف الأساسي من وجودها ألى وهو الجانب التعبدى

*-اعتبار المؤسسات الدينية كمنشط ومحور أساسي للحياة العلمية والاجتماعية فهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ كانت تنتشر حوله المساكن والأسواق والكتاتيب...، خاصة إذا ما اعتبرنا أن أول معلم جمع الأفراد قديما عند استقرارهم الأول هو المعبد.

2. وسائل تفعيل السلوك الأخلاقي في مجتمع المغرب الأوسط:

2. 1. دور المؤسسات الدينية في بناء شخصية الفرد:

إن المتتبع للمؤسسات الدينية التي تواجدت بالمغرب الأوسط سيجد أنها اعتمدت أساسا على تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا ما يتضح من خلال تصميماتها المختلفة التي تستجيب لوظائفها من تعليم وعبادة وإيواء وإطعام، فالمسجد إذا تمعنا فيه سنرى من خلال ممارسة العبادات المختلفة أنه عمل على توجيهه، وضبط سلوكيات الفرد، وذلك من خلال غرس الفضائل ونشر القيم الفاضلة التي حث عليها القرآن الكريم، كما أنه عمل على غرس الأخلاق من خلال الخطب والمواعظ.

إن الملاحظ من خلال ما كان يتم تعليمه للصبيان يبرز لنا أنه كان يعمل على تهذيب طبائعهم ويُنمي ملكاتهم وهذا ما يبرزه قول ابن خلدون: "...فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن ... لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم....ورأي بأن تعلم القرآن الكريم هو أصل التعليم وأول ما يجب على الصبيان تعلمه فيه تبنى الملكات (ابن خلدون ، 2001 صفحة 740)، فهذا الشيخ أبو عثمان بن سعيد الأنصاري (654هـ/1256م) انفراد بالاشتغال بقراءة القرآن وفهمه وتعليمه في بجاية (الغبريني، 1981 صفحة 290)، أما الشيخ محمد بن محمد بن بلقاسم المشدالي حفظ القرآن وهو ابن 7 سنين (التنبكي، 2000، صفحة 177)

أما الجانب التربوي فهي تربي مختلف فئات المجتمع بأنواعها، فتربيتها في الأساس انقياد واعتقاد، خضوع ونية، كون النفس

الإسلامي، إلا أن السلاطين والعلماء اهتموا بها ففتنوا في تخطيطها وزخرفتها فظهرت العديد منها في مختلف أقاليم المغرب الأوسط، كمدرسة ابني الإمام، مدرسة سيدي تواتي، مدرسة العباد وغيرها، ونظرا لتعدد المؤسسات الدينية وتنوعها في المغرب الأوسط وعدم قدرتنا على الإلمام بها، حاولنا تقديم بعض النماذج لأهم هذه المؤسسات على سبيل التوضيح، أدرجناها في الجدول التالي:

المؤسسة	نوعها	تاريخ تأسيسها	الموقع
الجامع الكبير	مسجد	1135/530م	قسنطينة
مسجد بوديوان	مسجد	الق 6-7/12_13م	بجاية
المسجد الجامع بقصبة بجاية	مسجد جامع	الق 6/12م	بجاية
زاوية يحي أبي زكرياء الزواوي (ت611هـ-1214م)	زاوية	الق 6/12م	بجاية
مسجد أبي الحسن التنسي	جامع	1291/690م	تلمسان
زاوية ابن يكي	زاوية	الق 7/13م	بجاية
مسجد أولاد الإمام	جامع	1310/710م	تلمسان
الزاوية الملائرية	زاوية	الق 7/13م	قسنطينة
مدرسة ابني الإمام	مدرسة	1310/710م	تلمسان
المدرسة التاشفينية	مدرسة	1328/728م	تلمسان
مسجد هنين	مسجد	1336/736م	هنين
مدرسة وزاوية أبي مدين شعيب	مدرسة زاوية	1353/754م	تلمسان
مدرسة/جامع سيدي الحلوي	مدرسة زاوية جامع	1353/754م	تلمسان
المدرسة اليعقوبية	مدرسة	1364/765م	تلمسان
زاوية الشيخ حساين	زاوية	770هـ	بجاية
مسجد سيدي الهواري	مسجد	الق 8/14م	وهران
المدرسة العنانية	مدرسة	الق 8-9هـ	الجزائر
زاوية الشيخ أحمد بن يحي	زاوية	الق 9هـ	بجاية
الجامع الأعظم	مسجد	الق 9/15م	مستغانم
الجامع العتيق بصدوق العلوي	مسجد	الق 9/15م	بجاية
زاوية سيدي يحي العيدي	زاوية	الق 9/15م	بجاية

بتقديم النصح وارشاد الناس إلى السبيل الصحيح والابتعاد عن التهلكة، إذ كان أبي يحيى زكرياء الزواوي في مجلسه يذكر الناس بالنار والأغلال والسعير كون النفس لا تردع إلا بالخوف (الغبريني، 1981 صفحة 128) إذ كان يقربهم إلى الله عن طريق سياسة الترهيب والترغيب، كذلك إذا تمعنا في المصادر عند وصف النخبة نجدهم يستعملون مصطلحات متعلقة بالسلوك مثل الرحمة، الاحترام، التقدير، الهبة، القبول العفاف... كل هذه الصفات ستعكس بلا شك على سلوكيات المتعلمين حتى الأفراد خاصة في مجالس الوعظ والخطب الدينية.

رغم التأخر الذي عرفته ظهور المدرسة في المغرب الإسلامي مقارنة بالشرق الإسلامي إلا أنها تبقى دائما الحجر الأساس في تكوين القاعدة الأساسية للثقافة العلمية للدولة، فإذا تمعنا في الدولة الزيانية التي اهتمت بإنشاء العديد منها، سنلاحظ أنه تخرج منها كبار العلماء ونشرت العلم وازدانت بالطلبة من مختلف الأعمار، وقد كان لإنشاء المدارس بجانب الزوايا مثل المدرسة الجديدة المبنية بزواوية أبي الحسن أبركان (ت857هـ/1454م) ومدرسة العباد، كما نجد أنه سمحت المدرسة للطلبة القادمين من البادية في أخذ العلم والرجوع إلى مواطنهم وبث العلم فيها وفي مناطق الظل، فمن ذلك أن ابن زكري (ت899-900 هـ / 1493-1492 م) الذي كان فقيرا وبعيدا عن المدرسة في تلمسان وعندما علم الشيخ ابن زاغو (ت845هـ/1441م) بحالته طلب من السلطان أن يعينه، فكتب له بيتا في المدرسة مع فراشه وسمنه وزيته ولحمه (ابن مريم التلمساني، 1908 الصفحات 40-39).

لمعت أسماء لشخصيات كثيرة تخرجت من مختلف المؤسسات، فهذه المدرسة البجائية احتضنت العلامة ابن الزيات (ت627هـ/1230م) الذي كانت تقرأ عليه كتب المذهب المالكي منها المدونة للبراذعي والتفريغ لابن الجلاب والرسالة لابن أبي زيد القيرواني (الغبريني، 1981 صفحة 92)، كذلك أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي (ت731هـ/1331م) أول من أدخل مختصر ابن الحاجب (ت646هـ/1248م) إلى حاضرة بجاية ثم سائر بلاد المغرب (الغبريني، 1981 صفحة 105)، فأبو مدين شعيب تخرج على يده ألف تلميذ (ابن قنفذ القسنطيني، 1965 صفحة 16)، إذا تمعنا في أهم المصنفات التي كانت مقررة في المساجد والزوايا سنجد منها: المدونة لابن سحنون (ت854هـ/204م)، الواضحة لعبد المالك بن حبيب القرطبي (ت852هـ/238م)، الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، المقدمات لابن رشد الجد (ت520هـ/1126م)، جامع الأمهات لابن الحاجب وغيرها. إن المتمعن والقارئ للقوانين العرفية المدونة في سجلاتهم أو المنقولة مشافهة يقف عند آداب وأخلاق اسلامية متمكنة في

لها قابلية للتربية (النبهان، 1993 الصفحات 10-11)، فالطفل متى وجد البيئة المناسبة لتلقى الأخلاق الحسنة نشأ على الفضيلة وحب الخير والميل إليه في سلوكه، لذا حرص الآباء حرصا شديدا على تعليم وتأديب أبناءهم إذ كان الشيخ في مجلسه لا يستطيع أحد أن يتكلم مع صاحبه ولا يجيب سائلا قبل أن يفوضه الشيخ أمر السؤال (ابن مريم التلمساني، 1908 صفحة 87)، هنا يبرز لنا سلوك الاحترام والصرامة، فعلى سبيل المثال هذا الشيخ أبي مدين شعيب (ت594هـ/1197م) كان مشغولا بالتربية والإفادة والتعليم والعبادة والإقبال على الله (ابن قنفذ القسنطيني، 1965 صفحة 17)، وكذا الشيخ أبو محمد ويكنى أبا فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت602-686هـ/1205-1287م) قال عنه الغبريني: "كان مبارك التعليم ميمون النقية في التفهم درس عليه العلم خلق كثير واستنفخوا به وكان أكثر الناس أصحابا وألئينهم جنابا وكان سليم الصدر لا يعرف شيئا من الشر" (الغبريني، 1981، صفحة 63).

كما نجد أنهم ساهموا سواء في البادية أو الحضر على استنجار مؤيديهم لأولادهم فهذا الشيخ أبو مسعود بن عريف أدبه وهذبه الشيخ أبو يوسف يعقوب بن عمران البويوسف (ت711هـ/1311م) (ابن قنفذ القسنطيني، 1965 صفحة 40)، ولعل أولاد الحكام والفقهاء كان لهم من العلم والتنشئة حظا أوفر، فهذا عبد المؤمن بن علي كان يدرّبهم على الدين والتشديد، إذ نشأ هذا الأخير منذ طفولته محبا للقراءة والدرس، كذلك ابن قنفذ الذي بدأ والده يعلمه القرآن الكريم ويحفظه إياه مع تحفيظه مبادئ اللغة العربية (ابن قنفذ القسنطيني، 2003 صفحة 19)، كما ساهم جده في توجيهه حيث كان في صباه يصحبه إلى الزاوية المالكية أين تكونت فيه مسحة الصوفية التي صبغت شخصيته ومؤلفاته، يبدو أن التعليم لم يقتصر على الذكور حتي الإناث كان لهن حظا، إذ يذكر ابن قنفذ أن والده كان يعلم بناته القرآن وقد كان تعليم الذكور والإناث من عادة أهل قسنطينة (ابن قنفذ القسنطيني، 2003 الصفحات 22-21).

نجد كذلك أن السلوك الذي كان يمارسه المعلم وبقية المجتمع والمدرسة يعتبر درسا وعبرة تنفذ إلى أعماق الطفل إذ كان من ميسورهم غرس وزرع ما يشاؤون في قلب الطفل، فعلى سبيل المثال نجد أن السلوكيات التي يتحلى بها شيوخ الزوايا تبرز لنا مدى الورع الذي اتصفوا به فتجلت في سلوكياتهم، كصفة القناعة في المأكل والحلال من الأطعمة، فهذا الشيخ أبي زكرياء الزواوي (ت611هـ/1241م) كان يعيش على البقول وإذا اشتهى اللحم نزل إلى البحر لصيد السمك، وكان الشيخ أبو هادي الصنهاجي (ت748هـ/1347م) قليل الأكل ويستر جسده بما تيسر من الثياب، عمل أيضا شيوخ الزوايا

برد شديد (ابن الزيات، دت صفحة 436) لدليل على الرسالة الفاضلة من خلال ابراز سلوك التواضع والتأزر مع مختلف طبقات المجتمع صف إلى صفة الصبر، وهذا السلطان أبا يحي ايغمراسن (ت 681هـ/1283م) كان يحب الشيخ محمد ابن مرزوق (ت 681هـ/1282م) فعمل جاهدا على الاجتماع به، فكان يذهب للصلاة بمسجد مرسى الطلبة (ابن مرزوق، 2009 الصفحات 152-153).

2.3. المجالس العلمية ودورها في سلوكيات الأفراد:

يعد التعليم ومجالسه من أكثر الآليات فاعلية وتأثيرا على السلوك الاجتماعي، وذلك لما تفرزه من أخلاق يقتدى بها فكثيرا ما كانت فيه نماذج وقداوات لشخصيات النخبة العالمة بواسطة الحلقات والدروس والخطب والمواظع، فقد ذاع صيت مجالس أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ/1369م) وولديه، كذلك ناصر الدين المشدالي (ت 731هـ/1313م) الذي قيل أنه ملأ بجاية وأقطارها بالعلوم النظرية والعلوم النقلية والعقلية، وقد وصفه التبتكي بقوله: "حضرت درسه ببجاية فرايته إماما... فقيه النفس عالما بالاستنباط أحسن الناس خلقا وأجلهم عشيرة وأعظمهم حرصا على نشر المعارف وأجودهم تعليما، يعلم الطلبة طرق البحث ومآخذ الخلاف يورد عليهم الأسئلة ويأمرهم بالجواب..." (التبتكي، 2000، صفحة 249).

استخدمت النخبة أساليب الوعظ والتوعية لتغيير سلوكيات الافراد والحفاظ على الأخلاق الفاضلة كطريقة وعظ أبي زكرياء يحي بن أبي علي الزواوي (ت 611هـ/1241م) (الغبريني، 1981 الصفحات 126-128)، كذلك طريقة الوعظ الهواري (ت 843هـ/1439م) التي كانت مشابهة لطريقة أبي زكرياء الزواوي فتارة يكثر من ذكر الأغلال وأنواع العقوبات، وتارة أخرى يذكرهم بسعة رحمة الله وعفوه ويحببهم إلى ما عند الله، كما كان عارفا برواد مجلسه فيخاطب كلا على حاله، فيذكر الأغنياء بحسن الظن بالله وأهل الصحة والعافية بشكر الله ويحث التجار على اخراج الزكاة ويصبرهم بطلب الحلال وترك الحرام (الغبريني، 1981 صفحة 128)، كما كان لأبي مدين مجلس وعظ يتكلم فيه الناس وقد تخرج على يده العلماء والمحدثين وأرباب الأحوال، كذلك مجلس أبا علي المشدالي (التبتكي، 2000، الصفحات 249-248)، كما لوحظ أيضا فيهم البساطة والتواضع حتى في لباسهم فهذا الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الإمام السنوسي قيل عنه: "كان متواضعا، حسن الخلق، رقيق القلب، رحيما، كريم النفس... يقف مع الصغير ويتواضع للضعفاء" (ابن مريم التلمساني، 1908، صفحة 240)

تخرج من المؤسسات الدينية جملة من العلماء ساهموا بمنتجاتهم ومؤلفاتهم العلمية التي تداولت في مجالس درس

المجتمع تلاحظ في مختلف التصرفات اليومية في كيفية التنقل بين البيوت، أو في طريقة السقي، أو في دخول الحقول وغيرها، فعلى سبيل المثال نذكر منها حظر مشي الرجال في طريق النساء في أماكن معينة وفي أوقات خاصة كزمن خروج النساء للسقي، كما لا يحق للشخص أن يتمطى دابة تعلق بنايات الجيران حتى لا يتطلع على أسرارهم، يعاقب على التلطف بالكلمات المنبوذة شرعا وعرفا، ويعاقب على كل ما يؤدي الجار (الونشريسي، 1990، الصفحات 426-427/321-449/452)، كما نستكشف مجموعة من القيم من خلال القوانين التي كانت تسري في المساجد كالحفاظ على المال العام وعدم الإسراف ويظهر لنا جلليا مثلا من خلال منع اشعال أضواء المسجد خارج وقت اشعالها المعتاد (الونشريسي، 1990، صفحة 294)، كذلك غرم من كسر أنية المسجد متسببا في ذلك باستهزاء أو باستعمالها في غير ما حبست له (الونشريسي، 1990، صفحة 17)

2.2. النخبة وترسيخ الفضيلة في مجتمع المغرب الأوسط:

كان الفقهاء والعلماء طوال العصر الوسيط يمثلون الضمير الحي للمجتمع إذ مثلوا القدوة بما اتصفوا به من أخلاق وسلوكيات، فالمصطلحات التي حملت صفاتهم في مختلف الترجمات لدليل على ذلك كحسن الخلق الحسن، الكرم، الصدق، الحرمة،... (التبتكي، 2000، الصفحات 248-249) (ابن مريم التلمساني، 1908 الصفحات 74-240) (الغبريني، 1981 صفحة 63)، كما رفع الله درجة العلماء إذ قال: "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الأبواب" (سورة الزمر الآية 9) وفي قوله: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير» (سورة المجادلة الآية 11)، إذ عُد القرآن الكريم المنبع الأول الذي اعتمدوا عليه حيث نجد أنه تعددت طرق هداية المجتمع نحو حسن الأخلاق فكان المسجد المنبر الأول لهم من خلال ما كان يلقي من خطب ومواظع والتي تلتقى في هدف واحد ألى وهو حمل المجتمع للتمسك بأخلاق الإسلام، فهذا أبو زكرياء يحي بن أبي علي المشهور بالزواوي كان كثير التشدد على الصلاة والصيام إذ غلب على مجلسه الترهيب بتذكير النار بالنار والأغلال والسعير، وبالمقابل كان يذكر الناس برحمة الله وسعة ثوابه (الغبريني، 1981 صفحة 180) (ابن الزيات، دت الصفحات 428-426)

شكلت كوارث القحط والجوع والغلاء والأمراض والمناسبات للفئات الفاعلة خاصة العلماء والفقهاء والصلحاء جسر التكافل ومد يد المساعدة للمنكوبين، كما تنافسوا لإغاثة المشردين والمرضى وإطعام المتضررين جوعا (البياض، 2008 صفحة 266)، فكان للسلوك الأخلاقي للنخبة أثره الكبير في أخلاق المجتمع، ومن صور التواضع في أسمى معانيه نذكر جلوس أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك في تلمسان مع جماعة من الفقراء يفترشون الأرض في زمن

علماء وفقهاء المغرب الأوسط، والجدول أدناه يقدم لنا بعض الأمثلة عن بعض المصنفات:

التخصص	المصنف
الفقه	كتاب ابن مرزوق في الفرائض، منتهى التوضيح في عمل الفرائض شرح الرسالة لناصر الدين المشدالي شرح مختصر ابن الحاجب شرح العمدة الشريف التلمساني تحفة الناظر وبغية الذكر للعقباني
الحديث	شرح صحيح مسلم سمي اكمال الإكمال لعيسى بن مسعود الزواوي المتقلاتي (ت743هـ/1342م) تعليق على رجال ابن الحاجب للحسن أبركان
القراءة/التفسير	مقدمة ابن زاغو (ت845هـ/1441م) على التفسير وتفسير الفاتحة+ التذييل في ختم التفسير لابن زاغو
السيرة النبوية	وسيلة الإسلام للنبي عليه الصلاة والسلام لابن قنفذ شرح البردة لسعيد العقباني (ت811هـ/1408م)
العقيدة والتوحيد	شرح العقيدة البرهانية، الوسيلة بذات الله وصفاته لسعيد العقباني مصباح الأرواح في علم الفلاح للمغيلي (ت909هـ/1503م)

وصل الأمر بالبعض منهن إلى منع الزوج من حقه الشرعي (المازوني، دت صفحة 138)، ناهيك عن التعدي اللفظي كالشتم وغيرها (المازوني، دت) كما مارست الإجهاض للتخلص من أبناء الزنا (المازوني، دت الصفحات 107-247-249)، ضف إلى سلوكيات أخرى كالتهرب والاختلاط، السرقة، السحر والشعوذة.. (المازوني، دت الصفحات 107-455) (الونشريسي، 1990، صفحة 499) (العقباني، 1967 الصفحات 268-271).

اتخذت أيضا مجموعة سلوكيات مورست في المقابر كالزردة التي كانت تقام أو الوعدة وهي تختلف من ضريح لآخر، كما استخدمت هذه القبور في قضية الشفاء وبراء المرضى وإدراك الرزق وتفريغ الهموم وإزالة الكرب، حيث يذكر ابن مريم أن قبر ابن زيتونة ما زاره ذو عاهة إلا برىء ولا ذو حاجة إلا قضيت (ابن مريم التلمساني، 1908 صفحة 89)، كما أوصى أبو الحسن الزواوي أولاده بزيارة قبره إذا أصابهم أمر فيسألوا الله عنده فيفرج عنهم، كذلك من العادات حمل تراب القبور للتبرك بها والاستشفاء، وقد ذكر الونشريسي ذلك عندما دأب العوام على نقل تراب ضريح الشيخ أبي يعزى وضريح الشيخ أبي غالب النيسابوري للاستشفاء (الونشريسي، 1990، صفحة 490).

اعتمد المتصوفة على بعض العادات للقيام بمختلف الطقوس التعبدية حيث وردت نازلة في المعيار مفادها: "سئل فقيه بجاية وصالحها أبي زيد الوغليسي عن قوم تسموا بالفقراء يجتمعون على الرقص والغناء فإذا فرغوا من ذلك أكلوا طعاما كانوا أعدوه للمبيت عليه ثم يصلون بقراءة عشر من القرآن والذكر ثم يغنون ويرقصون ويكونون يزعمون في ذلك كله أنهم على قرينة وطاعة ويدعون الناس إلى ذلك (الونشريسي، 1990، صفحة 34).

3-2 المؤسسات الدينية واحتواء السلوك الإنحرافي:

استهدفت المؤسسات الدينية السلوكيات الإنحرافية خاصة الانحلال الخلقي بالدرجة الأولى، فهذه آفة شرب الخمر أقلقت الكثيرين فالتمسوا لها الحلول عند المتصوفة، ومن ذلك ما نقله الغبريني من كرامات الشيخ الحرالي (ت638هـ/1240م)، أن امرأة كان لها ولد مدمن على معاقرة الخمر ويجنى على نفسه فأنت تشكو ذلك للشيخ تلتمس حلا فنصحها وماهي إلى مدة حتى تاب وحسن حاله (الغبريني، 1981 صفحة 150).

كما أنهم ساهموا في قضاء حوائج الناس فمما أورده الغبريني قصة عن أحد فقراء بجاية التي أنجبت امراته طفلة وهو في ضيق فما وجد حل يخلصه منه حتى ساقته قدماه إلى مسجد النطاعين أين التقى بالشيخ أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي وأدرك الحالة، فمد الشيخ وناولته صرة فانضرجت كربته (الغبريني، 1981 الصفحات 174-175).

قدموا أيضا مساعدة للفقراء وذلك من خلال الصدقات، فهذا أبو يعزى ذاع صيته في التصديق إذ كان يطعم الواصلين إليه العسل

3.3 دور المؤسسات الدينية في احتواء بعض السلوكيات الانحرافية:

3.1 نماذج لبعض السلوكيات الإنحرافية في مجتمع المغرب الأوسط:

إن المتتبع للسلوكيات الإنحرافية في مجتمع المغرب الأوسط سيلاحظ أنها كانت كثيرة ومتنوعة مورست من طرف مختلف طبقات المجتمع سواء الرجل أو المرأة إلا أن سلوكيات هذه الأخيرة ظهرت جليا من خلال ممارساتها التي تجلت في الفضاء الأسري والفضاء العام رغم أن هذه السلوكيات كانت نتيجة تداخل مجموعة من الأسباب والعوامل (وادي، 2023 الصفحات 103-104-105) من بعض السلوكيات التي نقلتها لنا بوضوح النوازل الفقهية نجد منها الخروج عن طاعة الزوج بعدم الامتثال لأوامره وعدم تقبل قراراته حتى لو كانت في إطار العمل الصالح، فعن كريمة زوجة الحرالي أنها منعت من التصديق بالماء في فترة الجفاف التي حل بحاضرة بجاية (الغبريني، 1981 صفحة 340)، بل هناك من امتنعت عن انتقالها مع زوجها في حال اضطر لذلك (المازوني، دت صفحة 362)، وقد

بمعارضته للبناء على القبور وتخصيصها وشد الرحال لزيارتها (الونشريسي، 1990، صفحة ج11، ص152_ج2ص490)، بالمقابل هناك من أوجب الفتوى في هدم ما بني في مقابر المسلمين من السقائف والقبب والروضات (الونشريسي، 1990، صفحة ج1ص318، ج7ص468).

لم تقتصر اسهاماتهم في التحريم، بل هناك الكثير ممن ساهم في اصلاح ذات البين كالشيخ الحسن أبركان (ت857هـ / 1454م)، والشيخ أحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ / 1470م) الذي أصلح بين يديه أحوالا عظيمة (التلمساني، 2002، الصفحات 119-186).

يبدو أن دورهم لم يقتصر على ذلك فقط، بل أظهروا سلوك الإيثار والكرم والصدقة فحاولوا من خلاله تقديم المساعدات، فهذا أبو عبد الله بن أبي بكر مرزوق، كان كثير الصدقة من ماله مجيب الدعاء لمن حل به فقرا أو مرضا، كذلك كان والده أبو العباس بن مرزوق (ت741هـ / 1341م) كثير الصدقات وأعمال البر، إذ يذكر أنه كانت له مطامير من القمح والفحم يفتحها أوقات الحاجة (ابن مرزوق، 2009، الصفحات 165-190-192)، وذكر كذلك عن الشريف أبو عبد الله التلمساني (ت771هـ / 1371م) مساهمته في إعانة الناس وكثرة نفقاته عليهم (ابن مريم التلمساني، 1908، صفحة 169)، كذلك الفقيه الشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الرحمن الغماري كان يقدم المساعدات ويخرج إلى سوق ندرومة ويدور على أهل السوق ويسقيهم جميعا (ابن، 2002، صفحة 219).

الملاحظ أن أغلب هذه السلوكيات كانت تحتضنها المؤسسات الدينية التي كانت تفتح أبوابها لكل فئات المجتمع وتظهر فيها صور التكافل والتضامن خاصة أيام الشدة مما كان لها الأثر الكبير في سلوكيات الأفراد وتوجيهه.

كما أمر القاضي أبو عبد الله العقباني (871هـ / 1467) بمنع النساء من الزينة الظاهرة والاختيال في المشي وإظهاره، ومنع خروجهن للحمام، كما تم منعهن من الاجتماع من غير المحارم (العقباني، 1967 الصفحات 72-77)، وقد وصل الأمر عند البعض إلى الإفشاء بمنع الإمامة على الزوج الذي كانت زوجته تخرج متبرجة وبادية الوجه، نتيجة لذلك نجد أن هناك من الأزواج من بالغ في التأثر بتلك الفتاوى وأراء الفقهاء فبالغوا في ذلك حين جنبوا زوجاتهم من مجالسة النساء خاصة الأجنيبيات أو الغربيات، كما منعوها من زيارة أقاربها في أفراحهم ومآثمهم (الونشريسي، 1990، الصفحات 211-297-420).

يظهر لنا جليا أن مختلف الأساليب والوسائل التي تم استخدامها لاحتواء السلوكيات المنحرفة كانت مرتبطة بالمؤسسات الدينية كالمسجد والزوايا أين كانت تجتمع فئات المجتمع فينعكس السلوك الأخلاقي لتلك الفئات علي أخلاق المجتمع.

إن الدور الريادي الذي لعبه الولي هو الذي جعله المرشح أن

ولحم الضأن والدجاج (ابن الزيات، دت صفحة 215)، كذلك عمل الشيخ المتصوفة عمر بن معاذ الصنهاجي إذ جمع في مجاعة سنة 535هـ / 1140م خلقا كثيرا من المساكين وأنفق عليهم ما يصطاده (ابن الزيات، دت صفحة 183)، وقد دأب المتصوفة على الإنفاق ومساعدة الفقراء والمساكين وحث الناس على الصدقة خاصة منهم الأغنياء، فالشيخ أبو يعزى كان يتشدد كثيرا في أمر الصدقة وعندما حبس المطر جاء إليه أحد الفلاحين يشكوه ذلك فقال: "إنما احتبس لشح الناس فلو تصدقوا لمطروا فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا بقدر ما أنفقتم تمطروا" (ابن الزيات، دت الصفحات 466-467).

استعملوا أيضا أسلوب الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدرجة أن هناك من العلماء من خصته كتب المناقب بصفة الواعظ ولعل أبرزهم ابن الحجام المعروف بحسن موعظته وقد تاب على يده من أراد به خيرا (ابن الزيات، دت صفحة 439)، كما كان للشيخ أبي مدين شعيب مجلس وعظ، كذلك مجلس الشيخ سيدي قاسم العقباني (ت854هـ / 1450م) والشيخ سيدي محمد بن مرزوق (ابن مريم التلمساني، 1908 صفحة 82)، كما جسد خطاب وعظ أبو زكرياء الزواوي في مجالسه أثرا على الناس (ابن الزيات، دت صفحة 428)، وكذا مجلس أبو يوسف المنجلاتي (690هـ / 1291م) الذي كان له أثر في تهذيب الناس بمجلسه (الغبريني، 1981 الصفحات 264-265).

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنجع الآليات التي تؤثر بشكل فعال في السلوك والأخلاق، فهذا أبي محمد عبد السلام نهى رجل من أهل الدعارة عن فعله حتى أنه أخذ بأثوابه وضرب به الحائط، وقد نتج عنه توبة الرجل بل ولحق بالأولياء (ابن الزيات، دت الصفحات 111-112)، كان كذلك للرقابة التي كانت تفرضها الدولة في المساجد دورا في تقويم السلوكيات من خلال منع ونهي النساء عن تبرجهن واجتماعهن في المقابر (العقباني، 1967 الصفحات 78-269).

أفتى الفقهاء على تحريم السحر ونهوا عن مختلف السلوكيات التي كانت لها علاقة بالممارسات الغيبية، فهذا ابن رشد نهى عن الضرب على التراب (البرزلي، 2002، صفحة 217 وما بعدها)، كما سئل الفقيه أحمد القباب عمن يشتغل بضرب الخط وغيره من أنواع الكهانة _ سحر المحبة والكراهة وعقد العروس وما شابه ذلك _ فأجاب أنه سحر بائن (الونشريسي، 1990، صفحة 55)، وكذلك أبو القاسم بن سراج أفتى بحرمة كل أنواع الحسابة والكهانة والتنجيم وغيرها (الونشريسي، 1990، صفحة ج1، ص133) بل قاموا بتحريم بيع وقراءة كتب الخرافات والشعوذة (الونشريسي، 1990، صفحة ج6، ص70).

كما نجد أنهم حاربوا البدع التي كانت منتشرة في المجتمع فهذا محمد المعروف بالقلعي صاحب الكرامات كان سيفاً مسلولا على أهل البدع (ابن مريم التلمساني، 1908، صفحة 267□271) كزيارة القبور والتبرك بها أو تقبيل قبر الرجل الصالح أو العالم، كما ذهب إلى ذلك الفقيه أحمد الونشريسي

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحيى التشوف إلى رجال التصوف واخبار أبي العباس السبتي. الرباط: منشورات كلية الآداب، دت.
- ابن قنفذ القسنطيني أحمد شرف الطالب في أنس الطالب الرياض: مكتبة الرشد. 2003.
- ابن قنفذ القسنطيني أحمد أنس الفقير وعز الحقيق الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. 1965.
- ابن مرزوق المناقب المرزوقية، المملكة المغربية: منشورات الوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 2009.
- ابن مريم التلمساني عبد الله محمد البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان الجزائر: الطبعة الثعالبية. 1908.
- الإسلام علي مطر سيف التغير الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية القاهرة: دار الوفاء. 1986.
- البياض عبد الهادي الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 8-14 هـ/ 14-12 هـ). بيروت: دار الطليعة. 2008.
- التبتكي أحمد بابا كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 2000. Vol. 2.
- العقباتي بن سعيد التلمساني غنية الذاكرة في حفظ الشعائر وتغيير المناكر دمشق: الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي. 1967.
- الغبريني عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1981.
- المازوني الدرر المكنونة في نوازل مازونة الجزائر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. دت. Vol. 2. ج. 2.
- النبهان محمد فاروق اهتمام علماء المسلمين بالتربية النفسية مجلة آفاق الثقافة والتراث - دبي: 11 - 1993. s.n.l. الجزء 1.
- الونشريسي المعيار العربي والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1990. -الأجزاء 1-4-7-8.
- رمضان التنسي بشير الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال الق 4 هـ/10 م بيروت: دار المدار الإسلامي. 2003.
- عبد الرحمن ابن خلدون المقدمة - لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- عبيد منصور الرفاعي الدعاة والتنشئة الاجتماعية القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب. 1997.
- عشي علي المؤسسات الدينية بالمغرب الأوسط خلال العهد الموحي مجلة الحوار المتوسطي. 2018. ج. 3.
- وادي لامية الإنحراف السلوكي عند بعض النساء في المغرب الأوسط خلال العر الوسيط الجزائر: المجلة التاريخية الجزائرية. 2023. -ع 1: مج 1

- كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

لامية وادي (2026)، تأثير العمارة الدينية في الممارسات السلوكية لسكان بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط (6-9 هـ/ 12-15 م)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 18، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص:ص: 190-197.

يكون بمثابة الزعيم الروحي في المجتمع مع العلم أن الاعتقاد به وبكل الطقوس الصادرة عنه من كرامات وخوارق ظلت ذهنية متجذرة في نفوس مجتمع المغرب الأوسط.

خاتمة:

من خلال الدراسة المتواضعة للموضوع نستنتج ما يلي:

*- تعدد وتنوع العمارة الدينية في المغرب الأوسط إذ اشتملت المساجد والجوامع، الزوايا والكتاتيب، المدارس وغيرها، وقد استمر تشييد وبناء هذه النماذج في فترة الدراسة فشملت جميع أقاليم المغرب الأوسط، لاسيما الحواضر الكبرى كجاية وتلمسان.

*- تميزت العمارة الدينية بالمغرب الأوسط بمجموعة من الخصائص كالسباطة والتجانس، واعتبارها كمنشط ومحور أساسي للحياة العلمية والاجتماعية، مع اشتراكها في أهداف التأسيس ومعظم وظائفها التعبدية، التربوية والتعليمية.

*- لعبت المؤسسات التعليمية دورا هاما في تفعيل السلوك الأخلاقي لمجتمع المغرب الأوسط وذلك من خلال تكوين الفرد دينيا تعليميا وتربويا، إذ اعتبر المسجد أهم المؤسسات التي حملت على عاتقها مهمة نشر القيم بين أفراد المجتمع، فكان الأساس المعتمد فيها القرآن الكريم والسنة النبوية، فالممارسات التعبدية في مختلف المؤسسات الدينية تعلم وتكسب الفرد مجموعة من السلوكيات والقيم كالنظام والانضباط، الاحترام، حب الخير، الكرم، الورع، .. وغيرها، كما تعمل أيضا على تحفيظه كتاب الله وقواعد اللغة مع تهذيب طبائع المتعلمين، فالسلوكيات التي كان يتصف بها مسيري ومسؤولي المؤسسات كانت تنعكس على الفرد سواء أكانت أخلاقا أو أفعالا من خلال الاحتكاك اليومي بين العلماء وطلبة العلم أو بين عامة الشعب وشيوخ وعلماء المغرب الأوسط في مختلف المؤسسات الدينية خاصة المسجد منها، كما نجد المساهمة من خلال ما كان يتم تخريجه من علماء وفقهاء ومتصوفة أمثال ابن الزيات، عبد الله المشدالي، أبو زكرياء الزواوي وغيرهم

*- ساهمت النخبة العلمية في ترسيخ الفضيلة في مجتمع المغرب الأوسط، إذ اعتبر سلوكهم منبرا لترسيخ المثل والأخلاق السامية في مجالس الدرس والوعظ في العديد من المساجد والزوايا والمدارس، كما عملوا على نشر التفكير السليم والسلوك القويم، كما أنهم ساهموا في احتواء العديد من السلوكيات اللاأخلاقية كآفة الزنا، تعاطي المسكرات، الاعتقاد المفرط في كرامات وخوارق بعض الصوفية، لذا نجد أنهم حاولوا احتواء البعض منها، كقضاء بعض حوائج الناس خاصة منهم الفقراء أيام الأزمات، إضافة إلى استمالةهم أسلوب الوعظ الذي اعتبر من أنجع الآليات التي كانت تؤثر بشكل فعال على السلوك والأخلاق، خاصة أمام الحاجات الفيزيولوجية والاجتماعية التي تتحقق من وراء ذلك.